

المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة



اسم الموضوع : ما بعد أستانة

عنوان الموضوع : ما بعد أستانة

تاريخ النشر : 25/01/2017

اسم الكاتب : مصطفى فحص

الموضوع :

في الطريق إلى أستانة رسمت الأطراف الراعية للمفاوضات آلية الوصول إلى العاصمة الكازاخية، ولكنها على الأرجح ستعود منها عبر مسالك جديدة متعرجة أو التفاوضية لا تشبه الخرائط التي رسمت في طريق الذهب، فالعائد منها لن يستطيع تجاوز المطبات والكمان التاريخية التي حكمت وتحكمت بكل القوافل التجارية التي تنقلت عبر طريق الحرير، من سور الصين حتى أسواق حلب، وهو الطريق الذي تنافست الإمبراطوريات المتصارعة في اللعبة الكبرى من أجل السيطرة على ممراته، وقد عاد ليكون بوابة روسيا إلى الأوراسياوية وأبرز حلفائها بعد أن خسرت كيبف، وهي ضرورية للكرملين كونها دولة منتجة للطاقة وتستخدم جغرافياً كمعبر أساسي للطاقة باتجاه الصين والمياه الدافئة، فالمدينة التي بناها الروس كقاعدة عسكرية لجيوش القيصرية سنة 1810 أثناء الحملة على خانات آسيا الوسطى، ثم حولها الرئيس نور سلطان نزار بابيف إلى عاصمة سياسية سنة 1997 يتحدث أهلها لغة مشتقة من التركية، كما أن الكازاخ ينتمون إلى الأغلبية الإسلامية، وهذه عوامل ساعدت في اختيارها مكاناً نموذجياً للشركة الروسية - التركية، وهي شركة فرضت على المشاركين الآخرين في امتحان أستانة أن يدركوا سرياً خلفيات الاختيار الروسي لها والإصرار على نجاح دورها، لكن نجاح المفاوضات في أستانة لن يتحقق من دون وجود خاسر، مما سيتطلب اعتراف أحد الأطراف المشاركة بخسارته ولو نسبياً، وهذا شبه مستحيل، فبين نجاح المفاوضات وتحديد الأحجام والحصص سيقلب المشهد وتتغير التحالفات وتختلف الأولويات، فمن ذهبوا إليها شركاء من الممكن أن يعودوا منها خصوصاً، ومن الممكن أن من ذهبوا إليها خصوصاً قد يعودون منها شركاء، فما بعد أستانة يمكن تطبيق معادلة حسابية تجمع بين الرياضيات والسياسة عندما يستخدم علم الحساب في تقدير الموقف عندها: «يصبح المقبل باتجاهك عن بعد 1000 متر أقرب إليك من الذي يقف على مسافة متر واحد منك، لكنه يستعد للسير باتجاه معاكس للاتجاه الذي تسيره إليه». لا تستطيع موسكو العودة من أستانة دون تحقيق نجاح ملموس، وهو نجاح مرتبط في تطبيق بنود ما سيتم الاتفاق عليه، مما سيطلب تعاون الحلفاء والشركاء قبل الخصوم، ففي أستانة لمست موسكو أنها تستطيع أن تضمن الأتراك والمعارضة السورية المسلحة، لكنها من المستحيل أن تضمن طهران وميليشياتها، كما أزجتها مروعة النظام، مما دفعها إلى تهديده مباشرة بضرورة الالتزام باتفاق وقف إطلاق النار، وهي إشارة روسية صارمة للأسد بضرورة التزامه أيضاً بما سيتم الاتفاق عليه في أستانة، إضافة إلى خوفها من ميله إلى الجهة الإيرانية، كون طهران أكثر تصلباً في المواقف، حيث يتشارك الطرفان في خيار الاستمرار في الحرب حتى هزيمة ما تبقى من المعارضة. وحده فريق المعارضة السورية المسلحة الذي يمثل فصائل من الجيش السوري الحر في مفاوضات أستانة يستطيع أن يحقق ما يمكن وصفه بالإنجاز، إذا استطاع العودة من العاصمة الكازاخية باتفاق ثابت لوقف إطلاق النار في كل أنحاء سوريا وفي تنفيذ الإجراءات الإنسانية المنفق عليها ضمن بنود القرار الأممي رقم 2254 والتمسك ببيان «جنيف 1» كمنطلق لأي عملية انتقال سياسي في المستقبل، مما يفرض على موسكو وأنقرة عدم استثناء المعارضة السياسية، وخصوصاً الهيئة العليا للمفاوضات التي تحظى بدعم خليجي وأوروبي، فالاستعجال التركي لتوافق مع الروس يكشف عن تباين فاضح داخل المؤسسة التركية الحاكمة التي أدارت التحولات الجيوستراتيجية لأنقرة بعد فشل الانقلاب العسكري، مما أدى إلى إضعاف تفاهماتها مع عواصم إقليمية مؤثرة لا يمكن تجاوزها في صناعة الحل السوري. تنتظر طهران إلى تفاصيل أستانة فيساورها القلق وتضطر إلى العودة وحيدة فتستفزها وحشة الطريق، فتستنفر أدواتها للرد، حيث لن يختلف تعاملها مع توافقات أستانة عن كيفية تعاملها مع ما سبقها، لم ولن تلتزم طهران بوقف إطلاق النار قبل تأمين سوريا المفيدة نهائياً، وستستخدم التوافق على محاربة «داعش» وجبهة النصرة لكي تقوم بضرب كل الفصائل العسكرية تحت ذريعة محاربة الإرهاب، خصوصاً تلك المدعومة من أنقرة رداً على إصرار الخارجية التركية على انسحاب كل المقاتلين الأجانب من سوريا وإصرار المعارضة السورية على عدم البحث عن مصير جبهة النصرة، إذا لم يتم البحث عن مصير الميليشيات الطائفية الإيرانية. تملك طهران ما يكفي من تفاصيل ميدانية كي تعرقل خطط موسكو، ما بعد أستانة تكتسب موسكو بعداً سياسياً في الأزمة السورية لم تحصل عليه لولا التعاون التركي، لا تجد المعارضة السورية غير الحسرة على ما باتت عليه، وحده الأسد ونظامه يرى حقيقة ما بعد أستانة، ويعلم أنه لا يتحمل عواقب فشلها إذا تسبب ذلك باشتباك إيراني روسي، أما نجاحها فسيحواله حتماً إلى الحلقة الأضعف. *نقلا عن صحيفة الشرق الأوسط